
الأسلوب السرياني



الطالب / علي الشهري

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد...

هناك الكثير من المدارس الفنية التي أثرت الحياة الفنية على مستوى العالم، ومن أهم وأقدم هذه المدارس "المدرسة السريالية" فالسريالية مرتبطة بالحقبة الزمنية الممتدة ما بين الحربين، والقول أنها ليست على المستوى الفني سوى إحدى تجلياته لهو نوع من المادية الساذجة، وأنها أيضاً الوريثة المنممة للحركات الفنية التي سبقتها وقد لا يكون لها وجود لولاها، وإن السريالية وإن كانت ولدت في باريس على أيدي عشرة رجال، لكنها لم تنحصر في فرنسا بل امتد مجالها إلى بلدان مختلفة، فبدلاً من أن تكون حركة فنية باريسية خالصة أصبح لها أتباع وتأثر بها رجال في كل من بريطانيا، بلجيكا، أسبانيا وسويسراً، ألمانيا، تشيكوسلافاكيا، يوغوسلافيا، حتى في سائر القارات: أفريقيا، وآسيا (اليابان)، وأمريكا (المكسيك والبرازيل والولايات المتحدة الأمريكية)، وقد تمثل أربعة عشر بلداً في المعرض الدولي للسريالية الذي عقد في باريس (كانون الثاني - شباط من عام ١٩٣٨).

ولقد حطمت السريالية الأطر القومية في الفن، وحلقت فوق الحدود ولم تعرف أية حركة مثلها بما فيها الرومانسية، هذا التأثير والاهتمام العالميين، فكانت الغذاء اللذيذ لأفضل الفنانين في كل بلد، والانعكاس لعصر - كان محتماً عليه - إذ يجابه مشاكله على الصعيد العالمي، حتى في المجال الفني - غير أن من الخطأ الاعتقاد بأن حركة بهذا الاتساع كانت ثمرة عدد من الأدمغة المنعزلة - فالخطوة التي نالتها، والإعجاب والحقد اللذان أثارتهما،

خير دليل على أنها كانت تلبى حاجات وتطلعات خالدة دون شك، ولكنها بلغت ذروتها في العصر الذي شاهد ولادتها.

● أسباب اختيار البحث:

١. هو تكليف من أستاذ المادة بالكتابة في إحدى المدارس الفنية فاخترت السريالية لما لها من أثر في الحياة الفنية.
٢. اعتبار الفن السريالي هو فن العصر الحالي حيث أن التعبير عنه يكون من خلال رؤيا خاصة لمشاكل العالم التي تكون بالنهاية سريالية.
٣. تتناول الحركة السريالية لفكر فنان عظيم من أعظم فناني العصر وهو "سلفادور دالي".
٤. إلقاء الضوء على هذا الموضوع لجهل الكثيرين وعدم معرفتهم به.

● الصعوبات التي واجهتني:

- ١- قلة المصادر والمراجع التي كتبت في هذا الموضوع مما كانت من أهم الصعوبات.
- ٢- يضاف إلى ذلك كثرة المشاغل وقلة البضاعة وعجمة اللسان كان يحول بين إيفاء الموضوع حقه، وعرضه بالصيغة البيانية الزاهية.

● منهج البحث:

لقد نهجت في هذا البحث.. النهج.. الاستقرائي مع مراعاة بعض الأمور التالية:

- ١- التعريف ببعض الكلمات.
- ٢- وضع البحث في أربعة فصول.
- ٣- محاولة الاستفادة مما كتب حول هذا الموضوع.

• خطة البحث:

المقدمة: وتحتوي على أسباب اختيار الموضوع، الصعوبات، منهج البحث، خطة البحث.

التمهيد: تعريف السريالية وتاريخها.

الفصل الأول: أسباب قيام السريالية.

الفصل الثاني: التأسيس وأبرز الشخصيات السريالية.

الفصل الثالث: خصائصها أو الأفكار والمعتقدات التي قامت عليها.

الفصل الرابع: الأثر الذي تركته على الفن بصفة عامة.

الخاتمة.

الفهارس.



التمهيد:

أولاً: تعريف السريالية:

السريالية هي تلقائية نفسية خالصة، تعبر بواسطتها سواء شفاهة أو كتابة أو بأية طريقة أخرى عن الوظيفة الحقيقية للتفكير، تفكير يملأ في غياب كل تحكم يمارسه العقل، وخارج أية سيطرة مسبقة لجماليات أو أخلاقيات.

- أيضاً السريالية "أي ما فوق الواقعية أو ما بعد الواقع" هي مذهب أدبي فني فكري، أراد واقع الحياة الواقعية، وزعم أن فوق هذا الواقع أو بعده واقع آخر أقوى فاعلية وأغنى واقع اللاوعي أو اللاشعور، وهو واقع مكبوت في داخل النفس البشرية، ويجب إطلاق مكبوتة وتسجيله في الأدب والفن.

- وهي تسعى إلى إدخال علاقات جديدة ومضامين غير مستقاة من الواقع التقليدي، وهذه المضامين تستمد من الأحلام، سواء في اليقظة أو المنام، ومن تداعي الخواطر لمنطق السبب والنتيجة، ومن هواجس عالم الوعي واللاوعي على السواء، بحيث تجد الأحلام والخواطر والهواجس المجردة في أعمال أدبية.

ولهذا تعتبر السريالية اتجاهاً يهدف إلى إبراز التناقض في حياتنا أكثر من اهتمامه بمسرح العبث الابن الشرعي للسريالية.

- والسريالية هي حركة فنية وأدبية تستخدم للتعبير عن ما في العقل الباطن من أحلام وتوهمات بصورة يعوزها الترابط.

- وحقيقة أن "السريالية" تعرف أيضاً بالاتجاه الأسلوبية الذي ساد الفنون بأوروبا خلال العشرينات والثلاثينات.

- السريالية، هي بقاء في الواقع، وهي محاولة الانتقال بالعمل الفني من المعلوم الظاهر (الواقع) إلى الغامض المشوش، باتباع الرمزية اللاشعورية أي باستخدام مفردات اللاشعور أو العقل الباطن^(١).
- وكلمة السريالية كمصطلح حديث أطلقه الشاعر الفرنسي المعروف "أبولينير" لأول مرة عام ١٩١٧م، عند حديثه عن مسرحية "نهود تيريزيا" وكاتجاه فني قاده الشاعر الروائي والناقد الفرنسي "أندريه بريتون" على مدى ما يقرب من نصف قرن.
- وتعبير السريالية "ما فوق الواقع" ولا يعني هذا التعبير تماماً علم اللاوعي "أو الجنون" إذا اعتبرنا أن الجنون هو جزء من الواقع المعاش أو أن المجانين بشر يتعامل معهم عقلاء على الأقل، لكن السريالية تعتمد أساساً في إبداعها على "لاوعي" الفنان - أي أن يستمد عمله من لاوعيه - وهذا يتطلب إزاحة كل تحكم للوعي عن طريق ما يختزنه لاوعي الفنان من صور ورؤى وأفكار ولكي تتم هذه الإزاحة، ويتمكن الفنان من تسجيل هذا "السيال" الأتي من لاوعيه. لابد من لحظات معينة وتحضير وتدريب وسائل سنعرض لها. وقد اعتبروا أن "الحلم" من اللحظات الهامة التي يفتح فيها لاوعي الفنان فأولوا أهمية كبيرة "لتسجيل أحلامهم" في إبداعهم على اعتبار أن الحلم متواصل ويحمل آثار تنظيم الذاكرة وحدها تدعى لنفسها حق تقطيعه، حتى عدم الالتفات إلى الحالات الانتقالية وتقديم سلسلة أحلام بدلاً من حلم.
- البعض يعرف السريالية بأنها فكر "والفكر يصعب أن تضع له إطار محدد".
- وحقبة أن "السريالية" تعرف أيضاً بالاتجاه الأسلوبى الذي ساد الفنون في أوروبا خلال العشرينات والثلاثينات، وكان رائدها "أندريه بريتون" الذي

(١) مذاهب الفن المعاصر، أ. حسن محمد حسن.

رسخ تحرر الصور والطاقة في اللاوعي باعتبارهما الاهتمام الأول للسريالية.

وأخيراً: السريالية كلمة مركبة من كلمتين Realism , Sur وتعني فوق الواقع، وحركة السريالية حركة أدبية وفنية تفضي إلى علم الأخلاق والسياسة، وظهرت الأفكار الأولى لهذا الأسلوب لدى الشاعر الفرنسي "أبولينير" الذي ابتدع كلمة السريالية عام ١٩١٧م.

والسريالية بنيت على الاعتقاد في الحقيقة العليا لخلق أشكال التداعي المهمة حتى الآن وفي القدرة الكلية للحلم، وفي اللعبة المجردة للفكرة، تقود السريالية إلى تدمير نهائي لكل الآليات النفسية الأخرى وأن تحل محلها في حل المشاكل الأساسية للحياة، ويقول أندريه بريتون:

"أعتقد في انحلال مستقبلي لهاتين الحالتين اللتين تكونان في الظاهر متناقضتين، وهما الحلم والواقع، إلى نوع من الواقع المطلق يكون سريالياً لو استطاع أحدنا أن يناديه كذلك".

كل ذلك يفسر اهتمام السريالية بعالم الجنون على اعتبار أنه العالم الذي تندمج فيه الحقيقة بالوهم وتسقط سيطرة الوعي عن تفكير وسلوك المجانين، وكانت لدراسة بريتون في علم النفس وعمله في بعض المستشفيات في علاج الأمراض العقلية تأثير كبير عليه وعلى السريالية.

ولم يقتصر اهتمام السرياليين على الأمراض العقلية، بل اهتموا أيضاً بظواهر نفسية أخرى، فلقد استفادوا من بحث أجراه "بتودور فلورنوا" على الوسيطة الروحية "كاترين ميللر".

- السريالية اسم مذكر "بالفرنسية" هي آلية نفسية مجردة تقصد بواسطتها التعبير، نطقاً أو كتابة أو بأي طريقة أخرى، عن عمل الفكر الحقيقي، فالسريالية هي ما يمليه الفكر، بعيداً عن كل مراقبة يمارسها العقل وخارجاً عن كل اهتمام جمالي أو أخلاقي.

- وترتكز السريالية على الاعتقاد بالواقع المتفوق لبعض أشكال الأفكار المتداعية المهملة حتى الآن، وعلى القدرة الخارقة للحلم وعلى عمل الفكر العفوي، وترمي إلى تحطيم تام لجميع المحركات النفسانية لتحل مكانها في إيجاد حل للمشاكل الرئيسية في الحياة...
- قد يقود مفهوم صوت سريالي يسمعه بعضهم ويصم آخرون الأذان عن سماعه، قد يقود إلى نفي الموهبة الأدبية أو غيرها، فالسرياليون هم في طليعة الذين نادوا بأن لا موهبة لهم وأن ليس للموهبة وجود.

الفصل الأول: أسباب نشوء الحركة السريالية:

- تعتبر السريالية أحد أهم التيارات المعاصرة، تأسست عام ١٩٢٤م حين نشر الكاتب أندريه بريتون بيان السريالية الشهير، وحدد مفاهيم هذه المدرسة الفنية وإطارها العام الحاوي لمحاولات التعبير عن عوالم اللاوعي والازدواجية والأحلام والكوابيس، كما أن عوالم تعبيرها تضم كذلك الحالات التشاؤمية والسوداوية والموت والرعب والضجر وغيرها من الأسباب الجوهرية التي دفعت أندريه بريتون إلى إصدار بيانات السريالية الشهيرة (المانيفيستو) انشغاله الواسع بنقل السريالية من مجرد حركة أدبية مباشرة إلى مذهب فكري عام.. أو بعبارة أدل من حالة التمرد إلى حالة الثورة.
- أبرزت السريالية في مجال الرسم ما لها من قيمة عالية في الحركة الفنية، وأول معرض للسريالية ظهر عام ١٩٥٢م جمع آثار ماكس إرنست وهانزارب وفي بداية حياتهم الفنية انتمى عدد من الرسامين إلى المادية ومنهم مان راي ودوشان.
 - وللسريالية علاقة بالتحليل، وكتابات سيفموند فرويد كان لها تأثير على جميع السرياليين، وعلى رأسهم أبو السريالية أندريا الطب، وتخصص في علم وظائف الأعضاء، وكان على علم تام بأفكار فرويد،

- فحاول إدخالها إلى النظرية السريالية، مما أتاح للسرياليين فرص الاهتمام بالرموز الجنسية والمعالجة الصريحة والمكشوفة لموضوعات.
- وفي أعقاب الحرب العالمية الأولى، أصابت الإنسان الأوروبي صدمة هزت النفوس وكان ذلك نتيجة للدمار الكامل وإزهاق الأرواح بلا حساب، فنشأت نزعة جارفة للتحلل من القهر وتحرير الغرائز والرغبات المكبوتة في النفس البشرية، وامتدت هذه النزعة مما أدى إلى ظهور المذهب المعروف بالسريالية في فرنسا سنة ١٩٢٤م ثم دخلت السريالية مجالات الأدب والاجتماع والاقتصاد والفن.
- وإن كانت الظروف التي نشأت فيها السريالية فبعد الحرب العالمية الأولى التي ربما تعد البداية الحقيقية للقرن العشرين بكل جنونه وثورته وفوضاه الفكرية والثقافية، بالإضافة إلى تزامنها مع ظهور النظرية النسبية لأنيشتاين ونظريات فرويد النفسية المزعجة، هذه الحرب كانت سبباً في تغيير مفاهيم الناس في كثير من الآراء والمبادئ والقيم التي سارت قبل الحرب، فلهذا ظهرت بعد الحرب مباشرة حركة تعرف باسم "الدادية" وهي التي نادى بالثورة على كل المظاهر التقليدية والأعراف السائدة ليس في الأدب فقط، بل وفي كل مجالات الحياة.
- السريالية جاءت بعد الدادية... وربما تعتبر السريالية بشكل ما نسخة أخرى أكثر تنظيماً ووعياً وانضباطاً من الدادية، وهذا ما جعلها أكثر شعبية بين المثقفين والفنانين في العشرينات.. "أندرية بريتون" كان أيضاً دادياً مثل انفصاله عنها وبداية تأسيسه للسريالية.
- وهناك أسباب تتصل بالظروف التاريخية التي أحاطت بمولد السريالية الحديثة وأخرى تتعلق برواية السريالية للفن والأدب، وهي أسباب متداخلة.

١- الحرب:

لقد نشأت السريالية خلال السنوات الفاصلة بين الحربين العالميتين كأنها تعني خاصة بالرفض أو الثورة وهدم المثل والمعايير كأن السرياليون ضد كل شيء ولقد حاربوا بلا هوادة تلك النظرة التي ترى أن الأدب تعبير عن المجتمع، واعتبروها هدف الأدب البورجوازي القانع بنفسه وهم بمحاربتهم تلك النظرة كانوا يهاجمون ما عرف بالكلاسيكية في ذلك الحين.

- وكان اكتشاف ما وفق الواقع أو الواقع الأسمى سبباً في إنكار الواقع أو رفضه وتكمن وراء هذا كله أيضاً حالة دائمة يتميز بها فكر الإنسان الحديث ويعبر عنها الفرنسيون بكلمة ممتازة هي قلق "Enquiereude" التي تترجم إلى الإنجليزية بما معناه الاستقرار "Restlessness" وهي ترجمة غير كامنة والتفسير الشائع لهذا القلق هو أن إنسان القرن العشرين مرغم أن يعيش في مرحلة يكون فيها مهدداً بالحرب أو في حروب ضخمة تشمل العالم حتى أن حالته الفكرية تصبح بعيدة البعد كله عن السلام والسكينة.

والحرب أكثر التجارب الإنسانية توكيداً لعدم استقرار العالم وهي تفسير إلى حد كبير حاجة فناني القرن العشرين إلى اكتشاف فلسفة وصبغ فنية تعبر عن مشاعرهم الدائمة بالقلق وعدم الاستقرار. فعلينا أن نتوقع الثورة ضد الواقعية وهكذا ظهر أدب كامل يهدف بصراحة إلى الهرب من الواقع وإلى خلق عالم يعوض عن نقص العالم الواقعي وربما أن أمكننا أن نسميه أدب حروب أو قلق، لا يقوم فيه البطل بارتياح العالم الذي يعرفه جيداً، بل يقوم بمغامرة في أرض غريبة كلياً أو باستقصاء عالم أحلامه.

والبطل السريالي هو الإنسان غير المنسجم هو الجواب أو الحالم أو مقترف الأفعال اللامنطقية. أنه يمثل ما يدعوه علماء النفس بالمزاج الانفصالي

فالتأمل الداخلي هو نهجه وطريقة حياته، إذ ينبغي على من يريد فهم نفسه أن يحلل العناصر المتنوعة المتضاربة التي تدخل في تكوين شخصيته لذلك أهتم السرياليون بالكتاب الكبار الذين نهجوا نهج التأمل الباطن كدوستوفسكي وبروست وجيد ودرسوا نتاجهم ونهجوا نهجهم وغالوا فيه.

لقد شارك السرياليون قبل تأسيس جماعتهم في جماعة "دادا" - وهو اسم لا يعني شيئاً - هذه الجماعة نفسها تشكلت من فنانيين شبان من ألمانيا ورومانيا وسويسرا هربوا من جحيم الحرب، والتقوا على مقهى فولتير في زيورخ لينقلوا عروض مقاهي ميونخ وعروض ميلانو المستقبلية إلى موقف عدمي في الفن والمجتمع. بدءوا بقراءة الشعر والأغاني والرقص، ثم أخذوا في تنظيم المحاضرات وإقامة المعارض وكان انتعاشهم هذا تحديهم للعالم في خراب الحرب. قال الشاعر الروماني تريستان تزارا الذي قاد الدادا عند مولدها: "لا أستثني أحداً، الريح هبت في قوة العاصفة ضمير بعد ضمير ككل ضخمة تتساقط بسرعة حكمة وجنون معاً، ولا أحد يدري أين ترقد النهاية" وفي العدد الثالث من مجلة "دادا" الذي صدر في نهاية عام ١٩١٨ كتب تزارا بياناً قال فيه: "دادا لا تعني شيئاً لا مجال للرحمة يبقى لنا بعد المجزرة أمل في إنسانية مطهرة كل ما ننظر إليه زائف نحن ضد الأنظمة أن الأكثر قبولاً بين الأنظمة هو ألا يكون لك مبدئياً أي نظام.

٢- الفوضى السياسية والاجتماعية:

عندما تحيط الفوضى بالناس يصبح من الصعب مطالبتهم بالعقل والتصرف بحكمة هذا هو الوضع الذي عاشه السرياليون الفرنسيون طوال سنوات الجنرال "ويجان Weygand" إلى بولندا بينما ترسل قوات مسلحة إلى سوريا وتتدخل في شؤون تركيا كل ذلك في عام واحد ١٩٢٠ وبينما كان السرياليون يشاهدون اتساع رقعة السوفيتية التي يعدونها بسيطرة موسوليني على إيطاليا عام ١٩٢٠.

وهكذا شاهد المجتمع الفرنسي انتشار ظاهرة الانتحار خلال تلك السنوات وقد أهتم بها السرياليون أكثر من غيرهم منذ انتح جاك فاشي عام ١٩١٩ ب ٤٠ جراماً من الأفيون، ثم انتحار رنية كريفيل، وحاول الشاعر لويس أراجون نفسه الانتحار عام ١٩٢٨ وقد تتضمن أول عدد من المجلة التي أصدرها السرياليون بعنوان "الثورة السريالية" في ديسمبر ١٩٢٤ تحقيقاً عن الانتحار دار حول إجابات عدد من محرريها على سؤال: هل الانتحار حل؟ وقد استشهد بريتون في رده بكلمة تيودور جوفري: "الانتحار كلمة سيئة التشكيل الشخص الذي يقتل ليس نفس الشخص الذي يقتل".

إزاء كل هذا لم يكن غريباً أن يصدر السرياليون بياناً في ٢٥ يناير ١٩٢٥ يذكر بعهد الثورة الفرنسية، يعلنون فيه ضرورة القيام بثورة "نحن نربط كلمة سيربالي بكلهمة الثورة" ويوجهون تحذيراً للعالم الغربي بشكل خاص بأن "السريالية سوف تفجر قيود العقل. ولو أدى الأمر إلى استخدام مطارق مادية.

وأن هذا العالم الغربي أصبح عالماً من المجرمين - وليسوا المجانين - وأن هذا الواقع جاء نتيجة آراء واتجاهات معينة تتحكم في تفكير هؤلاء المتحكمين في العالم هذه الآراء والاتجاهات المتحكمة في التفكير هي المقصودة بتعبير "قيود العقل" ولكي يتحول هذا العالم إلى عالم من الخير والحب والفض لا بد من تحطيم تلك القيود ولم يتوقف السرياليون عن إصدار البيانات المؤكدة لذلك مثل البيان الذي أصدره في سبتمبر ١٩٢٥ بعنوان "الثورة أولاً ودائماً" وقد جاء هذا العنوان معارضاً لبيان أصدرته منظمة يمينية أسماها "العمل الفرنسي" تحت عنوان "السياسة أولاً" بدأ بيان السرياليين بتوضيح الحضارة الأوروبية ومناهضة الظلم الاجتماعي والطبقي، وقد أعادوا نشر نفس البيان في العدد الخامس من مجلتهم "الثورة السريالية" الذي صدر في الشهر التالي.

ولقد شهدت أوروبا بشكل عام وفرنسا بخاصة زخماً فنياً تمثل في قدوم فنانيين من دول مختلفة بينها الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية. كانوا يلتقون بمقاهي حي "مونبارناس" مثل "لادوم" و "لاكويول" و "روتوند" وهنا مثلاً تعرف الأديب الروسي إيليا اهرنبورج صاحب الرواية المؤثرة "ذوبان الجليد"، على فنان قادم من أسبانيا مثل بيكاسو، وآخر قادم من رومانيا مثل "برانكوزي" ولعل اللجنة التي شكلها بریتون عام ١٩٢٢ للتحضير لمؤتمر دولي حول "اتجاهات الروح الحديثة والدفاع عنها" تعبر عن هذا الزخم الفني الذي شهدته باريس آنذاك. فقد تكونت اللجنة من روبير يلوناي الرسام الذي طور التكعيبية لما يسمى بـ "أوفيزم" وفرنان ليحيه الذي أبدع اتجاهاً خاصاً به في المدرسة التكعيبية، وأميدي أورنغان المدافع عن الأحكام الكلاسيكي، وروجيه فيتراك محرر مجلة "مغامرة Aventure" التي ضمت مجموعة من الشعراء الشباب ينتمون بأفكارهم إلى أبو لينير وبريتون وغيرهم من أصحاب الاتجاهات المتنوعة.

كان طبيعياً في هذا الجو أن تظهر اتجاهات جديدة بعد تزايد الاهتمام بعلم النفس وانتشار الجماعات الروحية فقد انتشرت الكتب النفسية مثل كتاب تشارل ريشيد "Chaeles Richet" بحث فيما وراء النفس، وكتب رينيه جينو "Rene Guenon" عن الفلسفة الشرقية، وكتاب دور كايم حول القوة الرمزية السحرية للطواطم والتصورات العقائدية الأخرى في استراليا بالإضافة إلى انتشار تلك الاتجاهات التفت السرياليون إلى الجوانب الخفية أو المهملة في الإنسان البحث في لاوعيه كمنبع للإبداع.

بعد كل هذه العوامل والمؤثرات السابقة وبسببها جاء السرياليون برؤية جديدة للجمال والإبداع، رؤية تعتمد على أن "الواقع بشع من حيث تحديده لا يوجد الجمال إلا فيما هو غير واقعي. الإنسان هو الذي أدخل الجمال إلى العالم وينبغي الابتعاد أكثر عن الواقع لإنتاج ما هو جميل.. إن مؤلفات

السرياليين هي على وجه الخصوص اعترافات موسوسين وشكاكين وقد استلزمت هذه الرؤية إعادة النظر في موضوع "الإلهام" كمفجر لإبداع الفنان، وطالب السرياليون "بالتوقف عن النظر إليه كأمر مقدس لأن المفجر للإبداع عند السريالي تلك اللحظة التي يفتح فيها لاوعيه أمام تداعيات الذاكرة ليسجلها الفنان بأدوات مختلفة كالكلمات أو خامات الرسم أو الموسيقى.

لقد كانت السريالية، شأن الكثير من الحركات التجديدية، موضع هزة وسخرية عند العديد من الناس، كما كانت طريقة من طرائق الدجل عند العديد من مدعي الأب والفن، وحتى اليوم يقول الكثيرون كلما جوبهوا بعمل فني لا يفهمونه "سرياليزم" ويضحكون فقد أضحت السريالية رمز الغموض واللافهم وأحياناً رمز السخف.

- وموجز القول: أنه إذا كان عام ١٩٢٤م قد شاهد تأسيس الحركة الرسمي، إلا أنه يرشد فقط إلى الطريق التي ستسير عليها فيما بعد. وقد لاحظنا حذر السرياليين الشديد من الإدلاء بالهدف الواضع لنشاطهم. فليس النشاط مبهماً بالحقيقة. أنهم متمردون لا يبغون فقط تغيير التقليدية للشعر، بل وبنوع خاص تغيير ظروف الحياة. لا مذهب لهم، لكنهم ينادون ببعض القيم التي يلوحون بها كأنما بأعلام - القدرة الفائقة للعقل الباطن وتجليات - الحلم. والكتابة الآلية، ومن هذا المنطلق، تهديم المنطق وكل ما يرتكز عليه وتحطيم الدين أيضاً والأخلاق والأسرة والنظم الضيقة التي تمنع الإنسان من الحياة حسب رغبته.

ما أعظم وهمهم إذ يظنون أن أعداءهم سينهارون لمجرد سماع دوي كلماتهم أو لدى قراءة كتاباتهم!! أنهم يؤمنون أيضاً "بقوة الفكر الخارقة" حسب تعبير بروتو. إن مثالياتهم نقية لكنها عديمة التأثير وسيتخلون عنها تدريجياً عبر أزمات داخلية جسيمة. تتجدد وتضع الثقة على المحك باستمرار.

وبما أن رأي المجريين والعلماء - من نوع جديد - الذي لا رجوع عنه هو الذي لهم هذا التطور. ومن الواجب ألا ننسى أنهم مصممون على القيام بالثورة التي يدعون إليها - في وجودهم أولاً - فالسريالية لا تكتب ولا ترسم بل تعيش. إن السرياليين رسل لدين جديد يمارس في المقاهي: "السيرتا" و "لوغريون" في شارع الأوبرا، و "السيرانو"، فعلى طاولات هذه المقاهي وبين دخان السجائر، وضجيج الصحون وقهقهات الضحك، والثلث الخفيف الذي سببه شراب الماندارين. كوراساو، قام أرغون بتتسيق الصور الخاطفة "لفلاح باريس" كأنها مداعبات مثيرة. ليس هذا من النتاج الأدبي بشيء، وعلى كل حال، لم يكن يسمح له بالقيام بأية بادرة من هذا النوع. فكل نشاط سواء كان فنياً أم عادياً يتعرض للتحقير والفضيحة لأن المطلوب هو استهلاك الحياة كما أعطيت لنا وليس - الكفاح في سبيل - ربحها^(١).

تأسيس الحركة:

- ولدت في باريس على أيدي عشرة رجال لكنها لم تتحصر في فرنسا بل امتد مجالها إلى بلدان مختلفة فبدلاً من أن تكون حركة فنية باريسية خالصة أصبح لها أتباع وتأثر بها رجال في بريطانيا، بلجيكا، أسبانيا، ألمانيا.
- حطمت السريالية الأطر القومية في الفن، حلقت فوق الحدود ولم تعرف أية حركة قبلها بما فيها الرومانسية، كانت الغذاء اللذيذ لأفضل الفنانين في كل بلد.
- بلغت ذروتها في العصر الذي شاهد ولادتها وكانت تلبى حاجات وتطلعات خالدة دون شك.

(١) يحظر العمل على أعضاء المجموعة! أهمل أرغون، بروتون، بوفار وجيرار دراساقم في الطب. وترك السوربون البعض الآخر، وابتعد الجميع عن كل ما يمكن أن يمارس لهم "مكانة" في المجتمع.

- ولقد سبقها التكميلية، المستقبلية، الدادية، حتى أن رواد السريالية ذاتها أراغون، بروتون، وأيلوار وبييريه، والإنسان الذي يستطيع استخدام عقله ومواهبه المنطقية في تغيير العالم. ولكنه عجز عن تغيير نفسه. فبقى ذلك المتوحش الذي يستعمل أجهزة لا يدرك منها - سوى تشغيلها بصورة تقريبية - حتى أصبح سجيناً لهذه الأجهزة التي ينتجها بكميات كبيرة. وأخذ يعبدها مثلما عبد الإنسان البدائي أوثانه. يطلب منها أن تتحكم بالطقس والمطر، يريد لها أن تغير له حياته. لكنها لا تكفي بأن تصم آذانها عن سماع نداءه بل تجعله يشعر بقساوة العبودية التي تمارسها عليه. وينتهي المطاف بنشوب حرب جديدة. يا لها من نتيجة رائعة! لقد صنع الإنسان قفصاً جميلاً ليسجن قوى الطبيعة. ولكنه لم ينتبه إلى أنه سجن نفسه فيه، بل أنه يتغلغل إلى داخله. لقد بنى حضارة فظة لأنه أصبح مسخاً عقلياً يتصف بنمو زائد في قواه المفكرة. فتوصل إلى تكوين قناعة تظهر له أن العقل والمنطق والمعقولات والزمن والفضاء والاثنين زائد اثنين يساوي أربعاً. كأنها الحقائق الوحيدة الحية. بينما لم تكن سوى أطر مريحة ووسائل عملية ومؤقتة يستخدمها في سبيل تحقيق عمله. وسائل تفوق إلى حد بعيد. المذهب التجريبي البدائي والتصوف الديني، ولكنها كانت مجرد مرحلة على طريق الفكر لا بد من تجاوزها.

ويقول أينيشتين: أن المعرفة تختلف تماماً عن العمل. فالعلم دون سواه يزود العمل بوصفات لا تفيد سواه، فلا تستطيع المزج بينهما من الآن فصاعداً، فهناك الرياضيون وهندستهم التي تستغني عن أوكليدس ومسلمته الشهير. إن العقل - العقل الكامل القدرة - يبدو متهماً صامتاً. لا يستطيع أن يقول شيئاً دفاعاً عن نفسه. والحقيقة هي غير ما نرى، ونسمع، ونلمس، ونشم ونذوق.

هناك قوى مجهولة تتحكم بنا ولكننا نأمل أن نتمكن من التأثير فيها فلنسح إذن إلى اكتشافها.

وتتجاذب الإنسان قوتان تمزقانه، عقل متشامخ دائماً حتى في احتضاره من جهة، وعالم مجهول يشعر بأنه المحرك الحقيقي لجميع أعماله وأفكاره، وحياته، يتجلى له أثناء النوم الذي يكرس له حوالي نصف حياته. من جهة أخرى وفي هذا الصراع، يجرؤ الإنسان أخيراً على التحديق في هذه القوى المجهولة، فيتعرف إلى مخلوقات غريبة، ويتحرك ضمن مناظر طبيعية لم يسبق له أن شاهدها، ويندفع في أعمال مثيرة. وحاول اجتياز هذه المتاهة المظلمة عالم نفساني من فيينا، يحمل فانوساً أصم وكانت اكتشافاته مخيفة إلى درجة جعلت البرجوازي يصرخ في وجه الفضيحة، وسار "الأطباء" السرياليون على آثار خطوات رجل فيينا، وأخذوا على عكس البرجوازي.

ووجد السرياليون في اكتشافات فرويد حلاً مؤقتاً فقد ثبت منذ الآن أن الإنسان ليس فقط "مفكراً" ولا "مفكراً عاطفياً" مثلما كان كثير من الشعراء السابقين لهما، بل أن الإنسان نؤوم محترف. يكسب في الحلم كل ليلة كنزاً يبده في النهار، عملة من النحاس. لم يكن الإنسان سجين الطبيعة وانتصاراته عليها فقط، بل كان سجين نفسه وقد أحاط عقله بأربطة شدد الخناق عليه شيئاً فشيئاً. فوراء القياسات، والنتائج و "هذا هو المطلوب"، افتحوا الأبواب واسعة أمام الحلم وأخلو المكان أمام اللا إرادية! سنرى الإنسان على حقيقته، سنصبح أناساً على علاتنا - غير مقيدين - معتقين ومحررين، فنجرؤ أخيراً على التعرف إلى رغباتنا وتحملنا الشجاعة على تحقيقها. لا ظلام بعد الآن! سنسكن جميعاً في "البيت الزجاجي" وسنرى أنفسنا كما نحن وكما يرانا من يريد.

غير أن السرياليين ليسوا بالسياسيين، أو العلماء أو الفلاسفة. وما أبعدهم من أن يكونوا أطباء! أنهم شعراء، ومختصون باللغة ولهذه اللغة سيتصدون.

أن كتاب أراغون أحلام "موجة متتالية من الأحلام" الذي نشر عام ١٩٢٤، يوجز النشاط السريالي حتى تاريخ صدوره. وخلال عامي ١٩٢٢ - ١٩٢٣ عبرت مجلة أدب بنوع خاص عن هذا النشاط. فقد كانت لسان حال الحركة حتى عام ١٩٢٤. ونجد فيها الأسماء التي سبق وذكرناها أمثال بيكاييا، وبروتون، وأراغون، وايلور، وبيرييه، وجاك بارون، وماكس أرنيست الذي قدم من ألمانيا ونجح في تطبيق "تقنية التطبيق" على لوحاته (رسم تجريدي مؤلف من قصاصات صحف ملصقة) التي سبق لبيكاسو أن انتهجها. وديسنوس الذي انتل اسم روز سيلا في المقتبس من مارسال دوشان، يعيد كافة عبارات نطق بها في حالة النوم ويعجز تماماً عن تقديم معادلها في حالة اليقظة. "إنه تلاعب الألفاظ - جناس مطبق بدقة الرياضيات" والذي "يغيب عن العنصر الهزلي"^(١).

وأضيفت قوى جديدة لتعزيز صفوف السريالية جورج لامور، وأندريه ماسون، وجوزيف ديلتاي، وأنطونين آرتو، وماتياس لوبيك. و. ج. أ. بوفار، وجان كاريف، بيار بيكون، فرنسيس جيرار، بيار نافيل، مارسال نول، جورج ماكلين، مكسيم ألكسندر الخ.. أن الجميع تقريباً في سن الشباب، بل إن البعض منهم مراهقون فاندفعوا بحماسة جياشة في السير على الطرق التي رسمها بروتون وقد أصبح زعيم الزمرة بفضل إسهامه النظري بالإضافة إلى هذا الجاذب المغناطيسي الفريد الذي ينبغي من شخصيته والذي لم يستطع مقاومة تأثيره سوى القليلين ممن عرفوه. إنه ذو وجه كبير، نبيل ومهيب، محكم التنسيق حول العينين اللتين كان يحميهما آنذاك بنظارتين خضراوين إثارة للإعجاب، وقد يستبدلها بين الفترة والأخرى، بمنوكل، لقد ذاعت شهرته. لم يكن لعوداً بالرغم من حداثة سنه، فهو يضحك نادراً ويتحفظ بحركاته. وراح من لا يحبونه يطلقون عليه لقب "البابا".

(١) "في معبد من معجون التفاح، كان القسيس يسكب عصارة الزامير" (تلاعب الألفاظ: ستوك وسوك يوم

وقد شهد عام ١٩٢٤ التأسيس الرسمي للمجموعة السريالية. فغالبا ما يقال عن حركة ما أنها "في الهواء". وقد ينطبق هذا القول فعلاً على هذه الحركة. لقد كان السعي إلى التجمع في كل مكان تقريباً. وليس فقط حول بروتون. بهدف تحقيق عمل جديد ذي فعالية.

وكانت الكلمة قد وجدت منذ أبولينير. وطبع العدد الأول لمجلة يديرها إيفان غول، وأطلق عليها اسم "سريالية"^(١). ثم ما لبثت الحركة أن ألفت حول بروتون، الغني بخبرة فريدة والقادر وحده على أن يعطيها قانونها: بيان السريالية. وأصبح للمجموعة - من جهة ثانية - مكان عمل دائم: مكتب الأبحاث السريالية. ١٥ شارع غرونيل. ومنذ مطلع كانون الأول أصبح لها صحيفة تتعلق اسمها "الثورة السريالية" وأخذت الحركة تنتشر أيضاً بواسطة إعلانات صغيرة تحتوي على نصوص مريكة أو مثيرة، ورسالة هجاء لاذعة ضد أناتول فرانس الذي توفي في تلك السنة. بينما كانت حياة متدفقة تهز جميع الأعضاء الذين تأثروا دون شك، باختفاء بول ايلوار.

الفصل الثاني: أبرز مؤسسيها:

١. من أبرز الشخصيات السريالية "أندريه بريتون" ١٨٩٦ - ١٩٦٦م وهو عالم نفس وشاعر نفسي يعده النقاد مؤسس السريالية.
٢. "ثورنتون وايلور" وهو كاتب مسرحي، ألف مسرحية جلد الإنسان بين الأسنان سنة، مسرحية تجنح إلى الخيال والعنف الناتج عن اللا شعور عند شخصيات المسرحية.

(١) يساهم فيها: مارسيل ارلان، ب البيير، بير، رونه كروفيل، جوزيف ديبي، روبر دولوني، بول ديرمييه، جان بان لوفيه، بيير ريفير دي. وقد ألتحق بها أيضاً أبو لينير. افتتحت بيان عن السريالية نقتطف منه التعريف التالي: "تكمن السريالية في نقل حقيقة الشيء إلى صعيد (فني) سام". وكما يلاحظ أن عالماً يفصل سريالية بروتون عن هذه السريالية.

٣. سلفادور دالي: ولد في صباح ١١ مايو ١٩٠٤م في المدينة الأسبانية نيجويراس، وقبل أن يبلغ السادسة أظهر سلفادور موهبة فنية كبيرة، درس في أكاديمية الفنون الجميلة في مدريد، وفي عام ١٩٢٩م رسم دالي أول لوحة سورريالية حقيقية بالألوان الزيتية والملصقات وأصابت الدهشة الرسامين والسورياليين الذين أزعجتهم العناصر البرازية التي شاهدها لأول مرة.

وفي عام ١٩٢٧ عندما كان سلفادور ودالي لا يزال مؤمناً بالتكعيبية سافر إلى باريس لزيارة بيكاسو وعندما قابله قال له باحترام شديد ولقد جئت خصيصاً إلى باريس لمقابلتك قبل أن أزور متحف اللوفر.

- ثم ذهب دالي إلى باريس سنة ١٩٢٨ وعاش في خضم تصوراته الخيالية خلال فترة بقاءه في كاداكويز ورسم لوحته *accomodation Des Desirs* عام ١٩٢٩ بالألوان الزيتية ولجأ في إنجازها إلى أسلوب التلصيق باستعمال عناصر مطبوعة أو مصورة، وأبرز أهمية عناصر اللوحة لكي يعبر من خلالها عن أفكاره الاجتماعية أو النفسية، وفي نفس السنة رسم لوحة *Les Plaisirs Illumines* بالألوان الزيتية والملصقات على رقيقة خشبية محفوظة الآن في متحف الفن الحديث بنيويورك.

- واستمر دالي في ملاحقة إحياءات عقله الباطن حتى أنه كتب في مذكراته "في يوم من الأيام سيضطر الناس إلى الاعتراف بصورة رسمية بأن ما يعتبرونه حقيقة وواقعاً ملموساً ليس سوى وهم أكثر خيالاً من عالم الأحلام.

- وقد أقام دالي معرضاً ثم فتحه عام ١٩٢٩م في باريس، ونجح المعرض نجاحاً استثنائياً إذ بيعت كافة اللوحات التي عرضت فيه بأسعار تتراوح بين ١٦ ألف، ١٢ ألف فرنك فرنسي لكل منها.

- بعد ذلك وجد الفنانون السورياليون أهمية تأثير دالي على حركتهم وجدوا أن تصويره للمواضيع اللا منطقية يتماشى تماماً مع العناصر السوريالية التي لا ترى في كل أسلوب فني سوى وسيلة للوصول إلى مصالحة الإنسان مع الكون، وفي هذه الأثناء قرر دالي أن ينضم رسمياً إلى جماعة السورياليين.
- وبدأ دالي يفكر في إمكانية إعطاء قيمة إيجابية على مستوى الواقع لتجاربه اللا منطقية فبدأ في تحويل لوحة Argelus إلى لوحة مثيرة للغرائز الجنسية، وفي لوحة "لغز ويليام تل" أعاد سلفادور دالي تفسير الأسطورة وصورها على أنها كانت قصة علاقة أب بابنه ورغم أن دالي كان يحب والده فقد ثار ضد سلطته الأبوية مما دفع والده إلى طرده من منزل الأسرة.
- وأكد دالي ميله للصور الملونة المطبوعة على الحجر لأنه اعتبر هذا الأسلوب يحتوي على أقل مخاطرة في محاكاة الطبيعة، تبنى في رسم الإيقونات دون أن يغوص فيه.
- وأصبح دالي حساساً تجاه الظهورات المخيفة التي يثيرها تحفيز الحالة العقلية والمضطربة الهذيانية ففي لوحته "لغز لا ينتهي" أخفى ست صور في مشهد واحد، من أشهر لوحاته (حلم فينوس)، جزيرة الموتى، صمود الذاكرة، بيض على صحن بدون صحن، العربة الشبح، صلابة الذاكرة.

الفصل الثاني:

خصائص أو الأفكار التي قامت عليها

يمكن إجمال أفكار ومعتقدات السريالية فيما يلي:

- الاعتماد الكلي على الأمور غير الواقعية، مثل الأحلام الأخيلة.
- الكآبة التلقائية الصادرة عن اللاوعي، والبعيدة عن رقابة العقل بدعوى أن الكلمات تمارس دور الشرطي في رقابته على الأفكار ولهذا تتطلق هذه الأفكار نشيطة جداً مع إهمال المعتقدات والأديان والقيم الأخلاقية السائدة في المجتمع.
- التركيز على الجانب السياسي والبحث عن برنامج وضعي (مادي ملموس) يصلح الحالة الاجتماعية، لذلك تودد السرياليون للحزب الشيوعي وبذلوا جهوداً كبيرة من أجل تطبيق المادية الجلية الماركسية.
- الثورة لتغيير حياة الناس، وتشكيل مجتمع ثوري بدلاً من المجتمع القادم وشملت اللغة التقليدية، وأحداث لغة جديدة، تزييف السريالية بأزياء مختلفة، فتارة تظهر كمجموعة السحرة، وتارة تبدو كعصابة من قطاع الطرق، وتظهر تارة أخرى كأعضاء في خلية حركة سرية هدفها تقويض الوضع الراهن، وبعد الغموض في التعبير الأدبي أو الفني في الرسم، هدفاً ثابتاً للسرياليين، ومن أفكارهم أيضاً.
- لا علاقة لنا بالأدب، ولكننا قادرون على استخدامه مثل سائر الناس، عندما تدعو الضرورة.
- ليست السريالية وسيلة تعبير جديدة أو أسهل من غيرها، حتى أنها ليست تجريداً للشعر، أنها وسيلة تحرر شامل للفكر ولكل ما يشبهه.

- لا ندعي إصلاح أي شيء في أخطاء الناس ولكننا نفكر جدياً بأن نظهر لهم وهن أفكارهم وعلى أية أسس متحركة، وعلى أية أقبية قد ثبتوا منازلهم المهتزة.
- إننا أصحاب اختصاص في التمرد، فليس من وسيلة عمل ولا نستطيع اللجوء إليها عندما تدعو الحاجة.
- ليست السريالية شكلاً شعرياً أنها صرخة الفكر الذي يعود إلى ذاته والمصمم على تحطيم قيودها بعنف، وإذا ما دعت الحاجة إلى تحطيمها بمطارق مادية.
- يجب على كل منتسب حقيقي للثورة السريالية أن يعتقد بأن الحركة السريالية ليست حركة في المجرّد ولاسيما في نوع خاص من المجرّد الشعري المقيت إلى أقصى حد بل إنها حركة تستطيع أن تغير شيئاً ما في الأفكار.
- كان السرياليون يقولون: أننا نهتم قليلاً بالإبداع، ونتمنى من كل جوارحنا أن تزحف الثورات والحروب، والانتفاضات في المستعمرات لتدمير هذه الحضارة الغربية التي تؤمنون حماية أوباشها حتى في الشرق، وتدعو هذا التدمير كأنه حالة لا تتعرض لرفض العقل إلا قليلاً...^(١)
- شهد عام ١٩٢٨ ظهور عمليين أساسيين في السريالية: دراسة الأسلوب لأراغون، ونادجا لبروتون، أنهما يعبران أحسن تعبير عن شخصية كاتبهما ويشهدان بما استطاعت السريالية أن تقدمه، وليساً عديمي المنفعة لتاريخ التصورات الأساسية في الحركة.
- وكان من خاتمة بيان بروتون في السريالية:
"إن السريالية أقل استعداداً منها في أي وقت مضى لتستغني عن هذه النزاهة ولتكتفي بما يتركه لها هؤلاء وأولئك بين خيانتين طفيفتين يجدون

(١) الجميل وبالفكرة الجذرية عن عجزنا وتفاهة ما ندعيه من واجبات في سبيل النور الذي لن يجبو بعد الآن؟

المبرر لارتكابهما في ذريعة شنيعة هي أنه يجب أن يعيشوا جيداً فلسناً بحاجة إلى هذه الصدقة من المواهب، تعتقد أن ما نطلبه هو ذو طبيعة تحمل الرضى والرفض التام وليست مجرد أقوال أو عيش على آمال ضئيلة هل نريد أن نجازف بكل شيء في سبيل الفرحة الوحيد في أن نلمح من بعيد وفي أسفل البوتقة حيث تقترح أن نلقت أسباب راحتنا الوضعية وما تبقى لنا من سمعة طيبة وشكوكنا الممزوجة بالزجاج الحساس.



الفصل الرابع

الأثر الذي تركته على الفن بصفة عامة

بدأت السريالية بمجال النفس البشرية ثم دخلت مجالات الأدب والفكر والسياسة ثم اقتحمت بشذوذها الثوري مجال العقيدة الدينية والتقاليد الاجتماعية واللغة، وأثاروا بين أقصى الكاثوليكية في الغرب وأقصى الشيوعية في الشرق، وأخذت السريالية في التقوقع بعد ربع قرن من نشوئها، وشعر دعايتها بعجزهم عن تحقيق أي هدف وبالنظر إلى القيم والمعتقدات الدينية، وإخفاقهم في إيجاد مسيحية جديدة، وتحول عدد منهم بعد الحرب العالمية الثانية إلى الشيوعية والإلحاد، وأدخل البعض المصحات العقلية والنفسية وتحول البعض الآخر إلى العبثية في الأدب المعبر عن المعنى العام وراء السلوك الإنساني في العالم المعاصر، أما أفكارها ومبادئها فقد تبنت الحداثة الأدبية الفكرية حيث صبت جميع جداول السريالية في مستنقعة الكبير وهكذا فقدت السريالية، المعبرة عن فقدان الإنسان الغربي العقيدة الصحيحة، واعتماده على ضلالات النفسية في اللا شعور والأحلام، هذه الضلالات التي أدت إلى التحلل الأخلاقي وإطلاق عقالها مما أودى بها بعد ربع قرن من نشوئها.

- ولقد تأثرت السريالية بآراء فرويد عالم النفس اليهودي في تاريخ الإنسانية وخاصة تلك التي تتحدث عن اللا شعور والأحلام، والكتب ودعوته إلى تحرر الإنسانية والرغبات المكبوتة في النفس البشرية، وإشباع الغرائز والرغبات إشباعاً، وتصاب بالأمراض النفسية كما يدعي، وهذه الآراء تتلاءم مع دعوتهم إلى التحلل في المجتمع البشري، وكذلك تأثرت السرياليين بالفكر الماركسي الشيوعي واستخدام العنف في سبيل ذلك.

- وبظهور المزاح الثوري حلت الفوضى محل النظام والانسجام، وقد تأثرت السريالية أيضاً بحركة سبقتها تدعى الدادية والتي ظهرت بزيورخ بسويسرا سنة ١٩٥م، وهي حركة فوضوية تكفر بالقيم السائدة والمعتقدات الاجتماعية وتدعو إلى العودة إلى البداية، ورائد هذه الحركة هو ترستان تزارا الذي قال بأنه المروج "للفوضوية الفنية والاجتماعية" ولذا عد النقاد أن السريالية تأثرت بالحركة الدادية في أفكارها وتوجهاتها وأسلوبها.
- أيضاً أثرت السورالية حيث أصبح بيكاسو على اتصال مع السوراليين. وهناك رأيان في تفسير طبيعة العلاقة القائمة بين بيكاسو والسورالية: الرأي الأول يقول: أن بيكاسو كان على علاقة طيبة بأندريه بريتون، ولكن لم يكن مرتبطاً بالسورالية كحركة فنية، وأنه ينكر كونه رساماً سورالياً.
- والرأي الثاني يرى: أن تحليل الأعمال السورالية بشكل عام يقود إلى صعوبة استبعاد بيكاسو عن السورالية.
- وكان إنتاج بيكاسو للوحة الرائعة "الراقصون الثلاثة Three Dancers" قد عد دليلاً على وجود علاقة بين بيكاسو والسورالية. فلقد افترض أن جو القلق والعريضة والعنف والتشنجات والتشبهيات فيها كان بتأثير الفلسفة السورالية. في حين نفى آخرون أن يكون للسورالية أي تأثير عليها، وأن "الراقصين الثلاثة" تختلف عن الأعمال السورالية لتلك الفترة.
- وعلى أية حال: فإن القلق والتأزمات النفسية والاضطرابات السلوكية كانت "قاعدة" وليست استثناء في الشخصية الأوروبية خلال السنوات التي تلت الحرب العالمية الأولى، وكان بيكاسو في هذه الحالة يرسم "القاعدة" وليس الاستثناء.

لقد تأثرت السورالية - آنذاك - بالتعاليم الفرويدية. بل أن بريتون - فيلسوف السورالية (والسورالية كلمة ابتدعها أبو للينير) - عدّ أن المسؤولية الأبوية للسورالية تعود إلى فرويد وأكد ذلك صراحة في بيانه السورالي الأول، الذي جاء فيه: "ويبدو واضحاً وبالصدفة العظيمة أن الضوء قد سلط على ذلك الجزء من العالم العقلي ح يقصد اللا شعور - . وبالنسبة لي فإن هذا الجزء الذي لم يهتم به الآخرون يشكل الأهمية الأعظم. ومن أجل ذلك فأنا يجب أن نشكر فرويد على هذا الاكتشاف.

وبتأثير الفرويدية اعتمد السوراليون طريقتين رئيسيتين للتخلص من سيطرة الشعور هما التلقائية "Automatism" والأحلام. ويقصد بالتلقائية: هي أن يدع الكاتب أو الشاعر أو الرسام يده تكتب أو ترسم دون توجيه مباشر من الوعي. وقد أنتج السوراليون كتابات ولوحات فنية وتخطيطات باعتمادهم هذه الطريقة التلقائية "الأوتوماتيكية".

ولقد رفض بيكاسو هذه الطريقة. ورفض أيضاً الابتكارات والخيالات العشوائية السورالية. ولكن لم يفش في التقاط الخاصية الجوهرية للسورالية، الحدس والبداهة الشاعرية للا شعور، واكتشاف العالم المدفون في الأعماق، واكتسابه بعداً جديداً في حرية التعبير من خلال اللون والخط والعمق لهذا العالم.

إن ما أثر في بيكاسو هم الشعراء السوراليون وليس الرسامون السوراليون وما جذبه في السورالية هي العلاقة القوية بين الشعر والرسم. وكان لصداقته مع بريتون - الشاعر الحاد الذهن - الذي وصفه ايلوار بأنه كان أبرز واحد بين الذين علموه كيف يفكر. وقد رسم له بيكاسو صورة شخصية وكذلك بول ايلوار وغيرهما من الشعراء السوراليون، قد أثمرت عن ولادة جديدة من الابتكارات في فني بيكاسو من بينها أنه كتب قصائد شعرية طويلة كانت مضطربة الشكل وعنيفة المحتوى. وكانت بدايات ذلك

في عام "١٩٢٥". ولقد بدا الشعر في هذه السنة بقلق جديد يعكس مزاجه، كشف عن نفسه في لوحته المدهشة "الراقصون الثلاثة" وهنا يبدو واضحاً أن الأمنية التي أعقبت الحرب بحلول العصر الذهبي، والتي كانت تحيا في نفوس الكثيرين قد بدأت تتلاشى وحل محلها نشوة العنف البائس والشعور بالإحباط.

والواقع أن "الراقصين الثلاثة" لا تتضمن علاقة مباشرة بالسوريالية ولكن لوحات بيكاسو والحركة السوريالية نبعثا من مسار الأحداث ومن التحرر من الوهم الذي شعر به أولئك الذين نجوا من الحرب العالمية الأولى وأصبحوا بمواجهة انقسات جديدة، وكفاح في عالم بدا لهم متحداً بشكل أقوى، ولكن تعوزه الحكمة الإنسانية والنقاء الروحي. إضافة إلى ذلك فإن الفن الرمزي - كغيره من الفنون - يبحث عن إطلاق وتحرير الانفعالات، وكان بيكاسو كواحد من الذين يتميزون بحساسية غير اعتيادية هو الأول بين فناني عصره الذين سجل "ارتعاشات" الهزة الأرضية التي كانت ستقع قريباً.

كان مدى الأفكار الجديدة التي أعطتها السوريالية إلى بيكاسو محدوداً للغاية. دفعت السوريالية الفنانين إلى ممارسة الاستبطان وإطلاق القوى الكامنة في أعماقهم ولم يقبل بيكاسو ذلك لأنه كان مهتماً بالحقائق اليومية الملموسة ولذلك ظل بيكاسو واقعياً في أعماله وتصرفاته. منذ لوحة "غيرنيكا" شعر بأن الأحداث الملموسة جعلت من أي خطة للفوضى في أعمار روحه لا قيمة لها. أقنعه عدد متزايد من التجارب الحربية كما من التوترات في حياته الشخصية بأن عليه أن يتوجه إلى رسم موضوعات من خارج ذاته.

في أكتوبر عام ١٩٣٧ رسم بيكاسو لوحة "امرأة تبكي" بمثابة تكملة للوحة "غيرنيكا". كثف الموضوع المعاصر حول العذاب في رأس واحد ينظر إليه من قريب. عند النظرة الأولى لهذه اللوحة تبدو وكأنها أخضعت إلى عدد من العناصر الفنية الصافية: خلفية ملونة ممتعة للنظر، المرأة ترتدي قبعة

صيفية جذابة ووجهها مرسوم من الجانب ومن الأمام ولكن من أي زاوية تنظر إلى هذه اللوحة نلاحظ أن وسط اللوحة مشغول بالشكل الزاوي للمنديل الذي يرمز إلى العذاب بوجه عام. المرأة تقضم هذا المنديل بيأس وتلتقط به الدموع المنهمرة بعنف من عينيها. المنديل يغطي فمها مما يشير إلى طراوة عذابها ويشير تناقض اللون الأزرق مع اللون الأبيض إلى "غيرنيكا". أظهر بيكاسو المأساة الكاملة للعذاب في التناقض الواضح بين الرأس والمنديل.

- وأما في الرسم فقد ظهر في أوروبا في عصر النهضة عدة فنانيين اشتهروا بما في صورهم من تركيب عجيب للأشياء والأشخاص على نحو لا يتصل بالواقع المرئي كان مبرره الوحيد هو الخيال.

هناك رسامان اثنان هما برويغل وهيرونيوموس بوش (كما في صورته الثلاثية "جنان الملذات")، لم يكن معظم ما رسماه إلا من هذا القبيل لقد كانت الواقع في أعمال هذين الرسامين دينية محضة، غير أن النتيجة كانت صوراً نراها الآن فنكاد نحسبها من خلق السرياليين المعاصرين.

ووليم بليك، في الكثير من شعره ورسومه سريالي يستخرج الصور والمعاني مما كان يدعو بالرؤيا أما الرسام الإنجليزي فيوزلي الذي عاصر بليك في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، فقد كان يعترف صريحاً بأنه يستلهم كوايبس الأحلام في كل ما يصور.

• السريالية تزوج بين الحقيقة الخارجية والحقيقة الداخلية :

يقول البيان: "إن كلمة السريالية تعبر في رأينا عن الرغبة في تعميق أسس الواقع والرغبة في الوصول إلى وعي بالحياة أكثر وضوحاً من قبل، إلى وعي بها أعنف عاطفة وأشد شعوراً، لقد حاولنا أن نصف الحقيقة الداخلية والحقيقة الخارجية كعنصرين هما في طريقيهما إلى الاندماج لكي يصبحا في النهاية حقيقة واحدة، إن هدف السريالية الأسمى هو التوحيد النهائي، إذ أن الحقيقة الداخلية والخارجية هما الآن في المجتمع الراهن، على طرفي نقيض،

وعندنا أن هذا التناقض بينهما هو السبب في شقاء الإنسان ولذلك أخذنا على عاتقنا أن نجابه هاتين الحقيقتين الواحدة بالأخرى، في كل مناسبة ممكنة، دون أن نجعل لأيهما أهمية أكثر من الأخرى وبذلك جعلنا نتفحص ما بينهما من تجاذب وتداخل وفسحنا لتلاعب هذه القوى لك مجال لكي تتقارب هاتان الحقيقتان فتصحبا في النهاية شيئاً واحداً.

وهكذا فرضت السريالية نفسها بإصرارها على أنها تزواج الحقيقة الداخلية والحقيقة الخارجية، تلاعب العقل واللا عقل، ولكن بينما كان السرياليون الفرنسيون أميل إلى نظريات فرويد التي يسرت منطقياً "عملياً" لتمرد النفس والرؤى واكتشاف الاقترانات العجيبة غير المتوقعة بين الأشياء كان الألمان منهم ومعظمهم من جماعة الداذا الأصليين - أميل إلى منطق هيغل Hegel وماركس Marx - بحيث كانت النتيجة أن أصبحت السريالية في أوائل الثلاثينات مزيجاً من فرويد وكارل وماركس.

ومن الممتع أن الذين قادوا هذه الحركة أول الأمر ووسموها بطابعهم كانوا شعراء لا رسامين، فانضوى تحت لوائهم الرسامون والنحاتون والمسرحيون والسيميون، لقد كانوا بعد الحرب العالمية الأولى يحلمون (وأحلام الشعراء تسبق دوماً منطلقات الناس في كل حضارة) بحالة مثلى للإنسان وكما قال لويس اراغون، أحد هؤلاء الشعراء "أنها مسألة التوصل إلى إعلان جديد عن حقوق الإنسان".

لقد كان السرياليون كمن جاءه الوحي فرأى الدنيا رؤية حلم عجيب وقد قال بريتون: "أن العجيب جميل دائماً، وفي كل ما هو عجيب فهو جميل بل أن لا جميل في الدنيا إلا العجيب" وقد تألف السرياليون في جماعة مترابطة تجتمع في المقاهي الكبيرة في مونمارتر أو شارع الأوبرا، وتمضي الأماسي في بحران من الكتابة أو الرسم أو الغزل أو الاعتراف بمكنونات النفس، ونشوتهم الكبرى الأحساس بالحرية - حرية الخيال، حرية الذات، حرية

الشعور، بل وحرية الهذر والجنون - والحرية كلمتهم السحرية وكذلك الحب، وهذا الحب وهذه الحرية أزاء عالم يتداعى وهب السرياليين قوة على مقاومة مناوئتهم ومجابهة المجتمع بكل ما لا يفهمه لعله يحظى بومضة من ومضاتهم الصوفية.

إن السرياليين آخر الرومانسيين، وعلى فكرتي الحب والحرية ابتوا فلسفتهم الأخلاقية، وأعادوا للمرأة سحرها وقوتها الإيحائية في الأدب والفن، وهكذا فإن السريالية كحركة ضاعت ريحها في الأربعينيات بينما ظل العديد من رساميهما يرسمون مستقلين في أماكن شتى في العالم، لكنها الآن في شبه تلاش سريع إزاء انتشار الحركة التجريدية التي قامت كثرة على القواعد التقليدية، وجعلت من الرسم خطوطاً وألواناً مجردة فيها متعة للنفس ولكنها بعيدة عن النفس البشرية والرؤى الإنسانية لكنها طبيعة العصر كما يقولون وهذه هي حكاية السريالية منذ بداية نشأتها لغاية وفاة قائدها في القرن الحالي، وربما وجود علينا العصر بعقبوري آخر للسريالية من يدري كل شيء في علم الغيب.

ولم يكن دالي هو الفنان السريالي الأول في عالمنا المعاصر فحسب بل كان أيضاً صاحب "ديكورات مميزة بل فذة لعدد من الأفلام العالمية" كما كان ناقداً تحليلياً لكثير من الأعمال الفنية ويعتبر سلفادور دالي الأسباني أشهر السرياليين قاطبة، وأغربهم طبعاً وأعشقهم للتشهير بنفسه كعقبوري للشذوذ والنرطقة والخلل العصبي Neurosis. ولقد كان السرياليون بوجه عام، عشاق شهرة يتعمدون من أجلها الفضائح والوقفات الجنونية، غير أن دالي فاقهم جميعاً في إتيان كل عجيب ومستهجن من القول والفعل، لكي يبقى حديث الجرائد والمجتمع.

الغاية:

الحمد لله الذي وفقني في اختيار هذا البحث وكتابته بالشكل اللائق حتى ينال إعجاب من يقرأه، والحمد لله أيضاً الذي وفقني في اختيار المدرسة السريالية وهي من المدارس الفنية المتجددة، ولقد أعطت هذه المدرسة ثماراً استطاع الجميع أن يتذوقها فيما بعد.

فقد أنشأت رجالاً يحتلون مكاناً مرموقاً بين كبار فناني هذا العصر كما كان لها تأثيرها على فنانيين آخرين لم يحققوا ذواتهم لولاها. وأوجدت السريالية لنفسها رغباً عنها، مكان في حركة العصر الفنية فهي تمثل العصر على الصعيد الفني أكثر من أية حركة فكرية أخرى. ولن تشك بأنها - وبهذه الصفة بالذات - تكون حلقة في سلسلة الحركات الفنية الفرنسية. وختاماً وبعد أن قمت بتعريف السريالية ونشأتها وتاريخها وأبرز مؤسسيها، وأفكارها، والأثر الذي تركته على الفن بصفة عامة أتمنى من زملائي الطلبة أن يهتموا بهذا الفن ودراسته. والله الموفق لما يحبه ويرضاه.

فهرس المصادر والمراجع:

١. الرسالة العبقري بابلو بيكاسو، الناشر "دار الراتب الجامعية - بيروت" ١٩٩٦م.
٢. الرسام الأسباني سلفادور دالي، أ - ج - موبك، راتب أحمد قبيعه، دار الراتب الجامعية - بيروت.
٣. السريالية، انتصار الغريب، دار الكندي للنشر والتوزيع - أربد.
٤. تاريخ السريالية، موري س نارو، ترجمة نتيجة الحلاق، منشورات وزارة الثقافة - دمشق.
٥. في سايكولوجية الفن التشكيلي، قراءات تحليلية في أعمال بعض الفنانين التشكيليين، قاسم حسين صالح، دار الشؤون الثقافية العامة - العراق، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.



فهرس الموضوعات

١	المقدمة
٢	أسباب اختيار البحث
٢	الصعوبات التي واجهتني
٢	منهج البحث
٣	خطة البحث
٤	أولاً: تعريف السريالية:
٧	الفصل الأول: أسباب نشوء الحركة السريالية:
١٨	الفصل الثاني: أبرز مؤسسيها:
٢١	خصائص أو الأفكار التي قامت عليها
٢٤	الأثر الذي تركته على الفن بصفة عامة
٢٨	السريالية تزواج بين الحقيقة الخارجية والحقيقة الداخلية:
٣١	الخاتمة:



